الدرس (10): ترجمة مصطلحات اللسانيات التداولية

تمهيد:

اللسانيات التداولية مبحث لساني متميز في طرحه الإجرائي؛ حيث يكاشف الاستعمال اللغوي، وأثره في سياق الحدث التواصلي القائم بين المرسل والمتلقي، وما يتعلق بهما من وقائع كلامية، وقد أقبل الباحث العربي ينقل ما توصل إليه الغرب من فكر لساني تداولي بكل مصطلحاته المتخصصة، فضلا عن تصوراته النظرية والتطبيقية، وذلك بواسطة الترجمة التي لم تتمكن كعادتها من ضبط هذا النقل وتوحيده؛ كونها تفتقر في ذاتها للأداء المنهجي.

تعريف التداولية:

التداولية مصطلح يصعب تحديده معرفيا بحكم تعدد المداخل الفكرية والمعرفية التي تؤدي إليه؛ حيث لا يمكن التعامل معه في سياق مكاشفة مفهومه أو البحث في تعريفه؛ دون تتبع نشأة التفكير التداولي أولا، ومن حيث الموضوع والوظيفة ثانيا، وكذلك من حيث خاصية التواصل والأداء ثالثا، وكذا صلته بالعلوم والمعارف الأخرى رابعا.

1- من مدخل التفكير التداولي:

عرّف "تشارلز موريس" (Charles Morris) التداولية؛ حيث جعلها فرعا من السيميائية؛ أي علم العلامات؛ إذ تعنى بدراسة العلاقات القائمة بين العلامات ومستعمليها (المتكلم، والسامع، والقارئ، والكتب ...)، وذلك في سياق تحديده لأبعاد السيميائية؛ متمثلة في[1]:

- علم الدلالة ويهتم بالبعد الدلالي للعلاقات التي تربط بين العلامات والموضوعات التي تعبر عنها في الاستعمال اللغوي.
- التداولية وتهتم بالبعد التداولي لعلاقة العلامات بالناطقين بها، ومتلقيها، وبالظروف النفسية والاجتماعية المصاحبة لاستعمال العلامات وتوظيفها.
- علم التراكيب ويهتم بالبعد التداولي لعلاقة القائمة بين العلامات في سياق التراكيب التي تجمعها.

[1]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2009، ص67.

2- من مدخل الموضوع والوظيفة:

هناك تعريفات عدة للتداولية من حيث موضوعها الذي يتصل باللغة وشروط الخطاب؛ حيث تسعى إلى فهمه وإدراكه من منظور الاستعمال اللغوي، فضلا عن البحث في سياقاته وأحواله أخذا في الاعتبار حال المتكلم كونه أساس العملية الخطابية، ومصدر الأفعال الكلامية أثناء التواصل؛ وتتحدد التداولية من هذا المدخل على أساس أن[1]:

- التداولية تعنى بمجموع البحوث اللسانية المقدمة في دراسة الممارسات اللغوية، والعلاقات التخاطبية.
- دراسة استعمال اللغة في الخطاب وما يترتب عنها من آثار.
- دراسة اللغة بوصفها ظاهرة تواصلية اجتماعية ذات طبيعة خطابية حجاجية.

3- من مدخل التواصل والأداء:

إن التداولية في اهتمامها بالاستعمال اللغوي من حيث الشروط والمقاصد والسياقات؛ نجدها تعنى أكثر بمفهومي التواصل والأداء على مستوى اللغة في علاقتها بمستخدميها، ومن هذا المدخل يمكن تحديد مفهومها؛ على أساس أن[2]:

- التداولية تركز على دراسة العلاقة بين المتكلم والسامع، فضلا عن تتبع العلاقات القائمة بين المنطوق اللغوي وعمليات الاتصال؛ أي أن موضوعها هو التواصل اللغوي لدى البشر وما يتعلق به من شروط الأداء المتعلق بالخطاب أثناء الاستعمال اللغوي.

- التداولية تبحث في مقاصد المتكلم وأغراضه من الكلام؛ ولا يمكن الاكتفاء بالجانب اللغوي وحده في تحصيل المعنى، بل لابد من مراعاة الجانب السياقي بالرغم من وجود مسافة ما بين الجانبين لا يغفل عنها السامع أو الباحث اللساني؛ كقول أحدهم لآخر في وقت متأخر من الليل: "إني متعب"؛ فلا يريد بذلك إظهار تعبه بقدر ما يلمح لرغبته في التوقف عن الحديث، وقد يشير المتكلم إلى أمر ويقصد غيره؛ ومتى أدرك السامع أو المتلقي تلك المعاني المضمرة تحققت مقاصد الاستعمال اللغوي، ونجح الأفراد في الأداء التواصلي؛ كقول أحدهم لآخر بعد أن دخل غرفة مكتبه تاركا الباب مفتوحا: "ألا ترى أن الجو بارد" تلميحا له للقيام بغلقه.

---

[1]- ينظر: خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص69.

[2]- ينظر: نفسه، ص71.

4- من مدخل العلاقة بالعلوم الأخرى:

إن التداولية بوصفها حقلا معرفيا متخصصا في دراسة اللغة قيد الاستعمال؛ هي ذات صلة وثيقة بالعديد من حقول المعرفة الأخرى؛ بما في ذلك علم العلامات؛ حيث تعد «وصفا للعلاقات بين العلامات ومستخدمي العلامات»[1].

وبما أن علم العلامات لا يشتغل على العلامة بمعزل عن المعارف المساعدة في تحديد نسقها، وشروط إنتاجها راحت التداولية في اشتغالها على علاقة العلامات بمن ينتجها ويستقبلها تمثل «الضلع الثالث من أضلاع مثلث علم العلامات وفق توصيف موريس (Morris) (1938)، أما الضلعان الأول والثاني فهما النحو (Grammar) وعلم الدلالة (Semantics)؛ ينشغل النحو بعلاقة العلامات بعضها ببعض؛ أي علاقة المفردات، والأدوات، والروابط في العبارة، والجملة، والنص؛ أي ببناء الجملة والعبارة، والعلاقات التي تربط بين مكوناتهما، أما علم المعنى أو الدلالة فيتناول علاقة العلامات بما تشير إليه، سواء كانت أشياء، أو كائنات، أو تصورات»[2].

ويتحدد مفهوم التداولية من مدخل صلتها بمختلف العلوم والمعارف؛ ومن مفاهيمها في هذا السياق أنها تتميز بخاصة التداخل مع تخصصات أخرى؛ مثل الفلسفة، واللسانيات، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، وكذلك علم الاجتماع[3].

ويمكن تفسير هذا التداخل بالنظر إلى موضوع التداولية نفسه؛ فالتواصل اللساني القائم على مختلف الاستعمالات اللغوية هو الذي يفرض تعدد التدخلات المعرفية والمنهجية في البحث التداولي؛ فمنها ما يختص بالمتكلم، ومنها ما يختص بالسامع، ومنها ما يختص بالعلامات اللغوية.

موضوع التداولية:

تختص التداولية (Pragmatics) بوصفها مبحثا لسانيا بالبحث في مجال لغوي بعينه؛ يتحكم في تحديد موضوعها؛ ويتمثل في «دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام (language in use)؛ بمعنى دراسة اللغة

---

[1]- تون ا. فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 2001، ص115.

[2]- بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من افعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص19.

[3]- ينظر: تون ا. فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص114.

في سياقاتها الواقعية، لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية، هي دراسة الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها ونقصد بها في ظروف ومواقف معينة، لا كما نجدها في القواميس والمعاجم، ولا كما تقترح كتب النحو التقليدية»[1].

وإذا كانت التداولية تعنى بدراسة اللغة شأنها شأن باقي التخصصات اللسانية؛ فإنها متميزة بالكشف عن الأثر اللغوي أثناء الممارسة التواصلية؛ إلا أنها «ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي، علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال»[2].

إن اللغة تأخذ أكثر من مظهر، لعل أهمها الممارسات اللغوية التواصلية، وهذا ما تركز عليه التداولية في دراستها للغة؛ أخذا في الاعتبار متعلقات السياق وظروفه، وخصوصيات الخطاب وشروطه حتى يحقق النتائج المطلوبة في التفاعل بين مختلف الأطراف التواصلية، بعيدا عن المعطيات المعجمية والتركيبية والنحوية التي تتميز بها اللغة خارج دائرة التواصل.

وبما أن التواصل اللغوي ظاهرة إنسانية تثير عدة مسائل ومباحث لسانية في محاولة تفسيرها؛ راحت التداولية تنفتح على العديد من المشاريع المعرفية؛ الأمر الذي جعل مجالها البحثي يتسع أكثر فأكثر، ولهذا «فإن الحديث عن "التداولية"، وعن "شبكتها المفاهيمية" يقتضي الإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة؛ لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة؛ كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج والفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال ... الخ»[3].

تملك التداولية شبكة مفاهيمية واسعة تتعدد تبعا لتعدد اهتماماتها البحثية؛ وتصوراتها الفكرية؛ حيث تعنى بالبنيات اللغوية، وقوانين الخطاب، وشروط الإنتاج اللغوي، ومقامات الاستقبال والتلقي، وكذلك معطيات الفهم اللغوي، فضلا عن العلاقات القائمة بين مختلف البنى اللغوية وسياقات استعمالها لدى الأفراد أثناء تواصلهم؛ تعبيرا عن حاجاتهم ومقاصدهم.

---

[1]– بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية من افعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ص18.

[2]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص16.

[3]– نفسه، ص16.

ترجمة مصطلح التداولية:

أطلقت التداولية في مقابل المصطلح اليوناني (pragmaticus)، المشتق من كلمة (pragma) الدال على الحركة، أو الفعل (action)[1]؛ وبما أنها من المصطلحات اللسانية الصعبة في محاولة ضبط مفهومها؛ فضلا عن عدم استقرارها في الدلالة على مختلف المفاهيم والمقولات والتصورات التي تنسب إليها، «تعددت التسميات العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي (Pragmatique)؛ فقيل: البراغماتية والبراغماتيك، البرجماتية والبراجماتيك، وليس بين هذه الاصطلاحات فرق، بعدّها نقلا حرفيا للكلمة الأجنبية، وقيل: التداولية، المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية ... وبين هذه التعبيرات – في الواقع- فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة، لتكون مقابلة للمصطلح الأجنبي»[2].

إن المقابلات العربية التي وضعت للمصطلح الأجنبي دون أن تكون هناك إمكانية للقاء أو ترادف بينها؛ توحي بوجود ارتباك معرفي لا مفر منه لدى الباحث العربي حين يتعامل بهذه المصطلحات على أنها تدل على المفهوم نفسه ألا وهو التداولية، بينما هي تشير إلى مفاهيم أخرى تتقاطع مع التداولية في جزئية معينة، فيحدث نوع من التشويش على مستوى المحمولات الدلالية للكلمة؛ فهل التداولية هي فعلا المقامية أو الوظيفية أو النفعية ...؟.

وبالنسبة للنقل الحرفي للمصطلح الأجنبي هناك من اعتمد هذا النوع من الترجمة؛ مثل "سعيد علوش" في معجمه المتخصص؛ "معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة"؛ حيث جعل مصطلح "البراغماتية" في مقابل المصطلح الأجنبي (Pragmatique)؛ حين قال أن «البراغماتية يحددها (موريس) في جزء من السيميولوجيا التي تدرس العلاقة بين العلامة واستعمالاتها، وتعود من هنا مسائل التعبير إلى (البراغماتية)»[3].

أما عن الموضوعات البراغماتية فيشير إليها على أنها «موضوعات تعرف كقيم وصفية، وتستهدف (البراغماتية) بالمفهوم الأمريكي، استخلاص شروط التواصل بالأساس»[4]؛ بوصفه الموضوع الأساسي لها في دراسة اللغة وتحليلها.

---

[1]- ينظر: جواد ختام، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص13.

[2]- خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص65.

[3]- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني/ سوشبريس، بيروت/الدار البيضاء، لبنان/المغرب، ط1، 1985، ص48.

[4]- نفسه، ص48.

كذلك مصطلح البراجماتية؛ ونجده عند "سعيد حسن بحيري" في ترجمته لكتاب "علم النص" لـ "فان دايك"؛ حيث أشار إليه في سياق حديثه عن مجال البحث التداولي؛ بالقول: «تختص البراجماتية بوصفها علما بتحليل الأفعال الكلامية، ووظائف منطوقات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال بوجه عام»[1].

ويقوم تحليل الأفعال الكلامية والمنطوقات اللغوية على البحث في خصائصها التعبيرية، وشروطها السياقية، ووظائفها التواصلية؛ على أساس أن «البراجماتية تعالج قيود صلاحية منطوقات لغوية (أو أفعال كلامية) وقواعدها بالنسبة لسياق معين، وبعبارة أكثر إيجازا: تدرس البراجماتية العلاقات بين النص والسياق»[2].

قد لا يقع التشويش المعرفي بقدر أكبر حين يتعلق الأمر بالنقل الحرفي للمصطلح الأجنبي، لكن عدم الاتفاق في اعتماد مصطلح واحد، فيقال البراغماتية تارة، والبراجماتية تارة أخرى وغيرهما من التسميات يوحي بعدم الاستقرار في الدلالة على مفهوم التداولية.

ويأتي مصطلح التداولية في مقابل المصطلح الإنجليزي (pragmatics)؛ والمقصود به ذلك المذهب اللساني الذي يقوم بتفسير العديد من الظواهر اللغوية على أساس الأثر التواصلي، أما بالنسبة للمصطلح الفرنسي (le pragmatisme)؛ فيدل على "الفلسفة النفعية الذرائعية"[3].

وفي سياق الاتجاه الفلسفي النفعي ظهر مصطلح البرجماتية الذرائعية، وتم توظيفه في مقابل المصطلح الأجنبي (pragmatism)؛ الذي يدل في معناه على «مذهب فلسفي أمريكي؛ أسسه "ويليام جيمز" (William James) (1842-1910)، و"تشارلز ساندرز بيرس" (Charles Sanders Peirce) (1839-1914)، مؤداه أن معيار صدق الفكرة أو الرأي هو النتيجة العملية التي تترتب عليها من حيث كونها مفيدة أو مضرة»[4].

أما عن المعنى الأقرب للتداولية؛ فيتمثل في المعنى الأول؛ أي الدلالة على المذهب اللساني الذي يدرس اللغة في إطار التواصل؛ وهذا ما ذهب إليه "مسعود صحراوي"؛ حين قال: «لا نتفق مع الباحثين العرب الذين ترجموا

[1]- تون ا. فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ص114.

[2]- نفسه، ص116.

[3]- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي)، ص15.

[4]- كامل المهندس ومجدي وهبة، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص77.

مصطلح (la Pragmatique / (Pragmatics بـ "الذريعية" أو "الذرائعية" أو غيرهما من المصطلحات المتحاقلة معهما»[1].

نلاحظ وجود خلاف بين الباحثين العرب في ترجمة المصطلح الأجنبي؛ وسبب ذلك أن فريقا منهم قد التزم بوضع المصطلح الأقرب للأصل الأجنبي الأمر الذي جعله يسير في اتجاه المفهوم الفلسفي، بعيدا عن المفهوم التداولي، في حين حاول فريق آخر التركيز على الدلالة لتكون أقرب للمعنى المقصود.

ويأتي مصطلح التداولية على قدر من الغموض، وعدم التحديد الدلالي؛ فحين يتعلق الأمر بالمقابل الفرنسي (pragmatique)؛ نجده يفيد معنى "المحسوس" أو "الملائم للحقيقة"، أما في اللغة الإنجليزية التي كتبت بها معظم الدراسات المؤسسة للفكر التداولي؛ فيفيد مصطلح (pragmatic) كل "ما له علاقة بالأعمال والوقائع الحقيقية"؛ الأمر الذي جعل من التداولية حقلا تجريبيا جديدا يستقطب مختلف الأفكار والمفاهيم الهامشية التي لا تنتمي إلى اختصاص بعينه[2].

وبالنظر إلى اتساع الحقل المعرفي الذي يعبر عنه المصطلح الأجنبي (pragmatic)؛ هناك من ترجمه بمصطلح التداوليات[3]؛ أي بصيغة الجمع، وهذا ما ذهب إليه "أحمد المتوكل" في كتابه "اللسانيات الوظيفية"، فضلا عن اتصال التداولية بأكثر من اختصاص.

إن تعدد المصطلحات الدالة على المفهوم التداولي، وما تثيره من ارتباك، تشي بعدم الاستقرار الذي يحاصر مصطلح التداولية لدى الباحث العربي؛ «ومن أسباب عدم استقرار المصطلح العربي على صيغة واحدة، عدم استقرار مفهوم التداولية نفسه وموضوعها في تيار واحد، وربما عكس الاصطلاح البيئة التي نشأ فيها، أو الظروف الثقافية التي يحملها»[4].

وتندرج إشكالية المصطلح في حقل اللسانيات التداولية ضمن إشكالية أعم تتعلق بالمصطلح اللساني عموما، حيث يستعين بالباحث العربي بالنقل الحرفي للمصطلح الاجنبي، أو يقترح مسميات عربية للدلالة على المفهوم اللساني الغربي، ولا يقف الأمر عند هذا الحد الذي لا يسلم من مخاطر المعنى، بل يتعداه إلى مسألة التعدد التي أنتجتها الجهود الفردية للمترجمين.

---

[1]– مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي)، ص15.

[2]– ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر. صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007، ص17.

[3]– ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط2، 2010، ص274.

[4]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص66.